*/*الجمهـــوريـــة الجـــزائريـــة الديمقـــراطيـــة الشعبيـــة*/*

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

* جامعـــــة العربـــــي بـــن مهـــيدي أم البواقي ــ كليـــــة الآداب و اللغـــــات ــ *

قســـم اللغة والأدب العربي * مقيـــاس البلاغـــة العربيـــة * محاضـــرات + أعمـــال موجهـــة *

السنة الأولى جذع مشترك ليسانس / المجموعة الأولى

إعداد وتقديم الدكتور: عبد الرحيم عزاب

المحاضرة الأولى: علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)

1 – مفهومه و نشأته عند النقاد القدامى:

*** أولا / مفهوم البلاغة:** للبلاغة معنيان أحدهما **لغوي** والآخر **اصطلاحي**. أما المعنى **اللغوي** فهو مأخوذ من الفعل **بلـــغ، يبلغ، بلوغـــا** بمعنى الوصـــول و الانتهاء إلى الشيء، يقال بلـــغ الشيء يبلغ بلوغا و بلاغا: وصل و انتهى و بلغ الرجل مكانه أي وصل إليه . و البلاغـــة: حسن النظـــم في تركيـــب المفردات اللغويـــة (نحويا و بيانيا) و رجل بليغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. و قد بلغ بلاغة : صار بليغا (وردت هذه المفاهيم في لسان العرب لابن منظور).

و قد استعملت كلمة التبليغ و البلاغة في اللغة لعدة دلالات و معان مختلفة كقوله تعالى:**" أولئك الذين يعلم الله مـــا في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا "** سورة النساء الآية 63 أي فصيحا ودالا و مقنعـــا... .

و قوله تعالى: **" وما على الرسول إلا البلاغ المبين "** بمعنى توصيل و تأدية الرسالة على أكمل وجه .

و قوله صلى الله عليه وسلم **:" اللهم إني بلغت فاشهد "** و المقصود بكلمة التبليغ هنا هي توصيل الرسالة السماوية إلى الناس كافـــــة للعمل بها ، و هكذا نجد كلمة بلاغة في اللغة العربية لها معنيان و هما:

- **المعنى الأول: الانتهاء و الوصول إلى الشيء.**
- **المعنى الثاني: هو الكلام الجيد الجميل.**

أما مفهوم البلاغة في الاصطلاح العلمي، فقد اختلفت آراء النقاد القدامى عند العرب ابتداء من الجاحـظ حتى أواخر القرن الخامس و السادس الهجريين بمفاهيم متعددة، فقد عرفها **الجاحظ (ت255 هـ)** بقوله: **" البلاغة هي مطابقة الألفاظ للمعاني و حسن التشبيه و ترابط العبارة و حسن الأداء "**. وبهذا اقتصـــر التعريف عند **الجاحظ** على الشكل دون المضمون، وقدم اللفظ (الشكل) على المعنى (المضمون) ثم جاء من بعده **ابن قتيبة** (276 هـ) في كتابه الموسوم **:"الشعر و الشعراء"** حيث عرف البلاغة بأنها عبارة عن جزالة اللفظ و فخامة العبارة و المشاكلة بين اللفظ و المعنى و أضاف إليها زيادة على الجاحظ تصوير العاطفة و الخيال . وذلك بانتقـــاء التشبيهات ووجه

الشبه بين المشبه و المشبه به ، ثم جاء بعدهما **أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)** في كتابه الموسوم **" كتاب الصناعتين: الكتابة و الشعر "**و سمي هذا المصنف العلمي المهم بذلك لأنه بين صناعة الشعر و صناعة النثر ، فالأدب عنده صناعة كبقية الصناعات الأخرى يحتاج إلى فن و مهارة ، فعرف البلاغة بقوله:" **هي مطابقة اللفظ للمعنى مع حسن التشبيه وقرب الصورة و البعد عن التكلف في الألفاظ و العبارات "** وهو بذلك لا يخرج عن تعريف الجاحظ .

أما **قدامة بن جعفر (ت 337 هـ)** في كتابه الموسوم بـــ**" نقد الشعر "** فقـد عرف البلاغـــة بأنها : **عبارة عن تقسيم فلسفي بين اللفظ و المعنى من جهة و بين الأسلوب و الصورة من جهة أخرى** ، لكن هـــذا التقسيـــم الفلسفي أضر بعلم البلاغة و أبعدها عن التذوق الفني و الإبداعي و الجمالي. لكن البلاغة كعلـــم مستقل بذاتـــه لم تتبـــلور إلا على يد إمامها و أستـاذها **عبد القاهر الجرجاني** في كتابيه الموسوميـــن بـــ**" دلائل الإعجاز في علم المعاني و أسرار البلاغة "**

و قسمهـــا إلى ثلاثـــة أقسام و أنواع هي:

1- علم البيان: و يشمل التشبيه و الاستعارة و الكناية و المجاز و هذا في كتابه أسرار البلاغة.

2- علم المعاني: و هو أهم أنـــواع علـــم البلاغـــة و أبوابها لأنه يساعد الطالب على كيفية النظم و الصياغة و وضع الكلمة المناسبة في مكانها المناسب ، مراعيا نظم الكلام بين سر الإعراب نحويا و لغويا و بين سر البيان بلاغيا و جماليا : و يشمل هذا الباب عديد الفروع : التقديم و التأخير لكل من المسند و المسند إليه (المبتدأ و الخبر) و الفصل والوصل و الحذف (بالإضافة) و الذكر(ا لزيادة)، أيضا بالإضافة إلى أنواع الأساليب البلاغية الأخرى حيث قسمها إلى قسمين:

أ – أساليب خبرية: و هي التي تحمل الصدق و الكذب لذاتها و نعني بها بغض النظر على القارئ.

ب – أساليب إنشائية: و تشمل خمسة أبواب رئيسة طلبية هي: الأمر ، النهي، الاستفهام ، التمني و النداء. كما أن هناك أساليب إنشائية غير طلبية كأسلوب المدح ، الذم ، التعجب(في النحو) و أسلوب القسم و غير ذلك من الأساليب.

أما **الباب الثالث** فهو باب **البديع**: و يشمل المحسنات البديعية و الزخارف اللفظية من أهمها: **السجع، الجناس، الطباق، المقابلة، التورية، التصحيف، التذييل و حسن التقسيم.** وهذه الأبواب كلها توجد في كتابه**" دلائل الإعجاز في علم المعاني "**

* ثانيا – أسباب نشـــأة علـــم البلاغـــة و فوائـــده –

لقد كان من أسباب الصـــراع الفكري و الحضاري بين العرب من جهة و الشعوبيين وخاصة الفرس من جهة أخـرى حـول مكانة العرب و حضاراتهم أن قام العديد من هؤلاء الشعوبيين بالتفاخر بأحسابهم و أنسابهم و علومهـم وحضـــاراتهم السابقة على العرب في ذلك العصر . واتهموا الأمة العربية بالبداوة و التخلف

الحضـــاري و عدم وجـود مصادر حضارية للعرب، لكن أدباء العرب ونقادهم و فلاسفـتهم و على رأسهم أو في طليعتهم **الجاحظ** قاموا بالـرد على مزاعم الشعوبيين

و اثبتـوا لهؤلاء الخصوم بما لدى للعرب من فصاحة القول وبلاغـة الخطاب شعرا و نثرا وكفاهم فخرا أن القرآن الكـريم بوصفه كتاب اللغة العربية الأول ومعجزا من كل الوجـوه قد نزل بلسـان عربي مبيـن لقوله تعالى:**"إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون." سورة يوسف الآية 2.**

كما أن خاتـم الأنبياء و الرســل عليــه صلوات الله تعالى و سلامــه نبت في صحراء العرب، فحملوا الرسالة السماوية لينشروا حضارة الإنسان في البلاد التي فتحوها. أما السبب الثاني لنشأة هذا العلم (علم البلاغة) فهو قصور عقلية الشعوبيين عن فهم معنى الآيات القرآنية الكريمة فهما صحيحا إذ فسروها على حسب ظاهرها مما يتناقض و علم التوحيد في العقائد الإسلامية. و قد وجد الشعوبيون الذين مازالوا يتحملون آثار الديانات المشركة السابقة و خاصة الديانة الفارسية الذين يؤمنون بالتعاليم (الزردشتية) أو(الزردشتة) ZOASTRISME و هي ديانة فارسية قديمة ، تنسب إلى زرادشت (رجل دين فارسي) يقـــال إن ظهوره كان في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلادي يطلق عليه الإسلاميون اسم المجوسية ، و المجوسية اسم ديانة عبــدة النار، وكان زردشت قد اعتنق عبادة النار أيضا، وانتشرت بيوت النار في كل أنحاء الإمبراطورية الفارسية (وقتئذ) و من ثم أصبحت المجوسية اسما لكل الديانات الفارسية و منها الزردشتية. والحقيقة أن الزردشتية أشبه بالمسيحية المحرفة ، و كلاهما واضح فيه (**الغنوص) (اللاأدرية)**

AGNOSTICISME: هي مذهب فلسفي يعتقد أصحابه بأن وجود الله تعالى و أصــل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها .ترجع جذوره إلى السفسطائيين اليونان. يعتبر الفيلسوف الاسكتلنــدي **هيوم** أبرز ممثليه بين المحدثين.

و لقد قضى عليهــا الإسلام في القــرن السابــع الميلادي .(أنظر موسوعة الفلسفة و الفلاسفــة الجزء الأول أ . ض د/ عبد المنعم الحفني ، ص 686 * 687) .و عبادة النار و المجوسيــة و الدهريون الذين يقولون بأن الدهر (الزمن) هــو الــذي يحيي و يميــت و ليس الله سبحانــه وتعالى . فهــؤلاء جميعا أخــذوا يجســدون الله سبحانــه وتعالى مشبهينــه بالإنســان إذ يقولــون : إن لله يدا يبطش بها و عينا يبصــر بها مفسرين الآيات القرآنيــة على ظاهرها كقولــه تعالى: **" يد الله فوق أيديهم "** وقوله أيضا: **" وهو السميع البصير "** . لهذا السبب قام العلماء بتنشئــة علم البلاغة لتفسير القرآن الكريــم تفسيرا علميا صحيحا لا يتنافى مع وحدانيته و عظمته فمثلا نجد أن المقصود في قوله تعالى**:" يد الله فوق أيديهم "** هو أن قدرة الله تعالى فوق قدرتهم، فاليد هنا كلمة مجازية و ليست حقيقية لأن اليد هي مصدر القوة . أما قوله:**" و هو السميع البصيــر "** أنه عز وجل محيط بهذا العالم.عالم بكل ما يدور به حتى ما كان في داخل قلوب الناس .قال الله تعالى: **"اللــه خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السماوات و الأرض و الذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون "سورة الزمر، الآية 62-63.**

و لا شك أنه من أبرز الأســرار البلاغية للغة المجازر قد أشار إليها العلامــة **تقي الدين ابن تيمية** في كتابه الموسوم بـــ **مجموع الفتاوى"** إن الفائدة في استعمال اللفظ المجاز دون الحقيقة قد يكون لاختصاصه بالخفة على اللسان أو لمساعدته على وزن الكلام نظما و نثرا، أو للمطابقة و المجانسة و السجع، وقصد التعظيم، والعدول عن الحقيقي للتحقير، إلى غير ذلك من المقاصد في الكلام".

علمــاء الكلام من أهل السنة والجماعة يذهبــون إلى تأويــل صفــات الله تعــالى العليــا تأويلا مجازيا بما يفيــد المعنى دون أن يــؤدي ذلك إلى التجسيم أو التشبيه أو الحلول.

2 – فوائد علم البلاغة (تعليمية علم البلاغة)

تعد هذه القائمة المختارة من مصادر علم البلاغة العربية و مراجعها – مرجعا مهما – لمقررنا البيداغوجي و ذلك للتعرف

على أسرار بلاغة علم المعاني و بلاغة علم البيان و بلاغة علم البديع. فالبلاغة علم و فن، و نظرية وتطبيق تسحب على عالم

النص الأدبي كيفما كان نظما أو نثرا، وهي من أبرز الأدوات التي يعتمد عليها الأديب في بنائه الفني لآثاره المكتوبة. ومن أدل فوائدها ما يأتي:

1- المعرفة البلاغية توظف في إبداع الأدب و نقده.

2- الإحاطة الشاملة بالقواعد البلاغية تنمي في المتلقي الذوق الجمالي و خصوبة الخيال وقوة الموهبة... .

3- ليس من تعلم البلاغة أن ينشئ كلاما بليغا، إذ تعلم البلاغة وحده لا يكفي في تأليف الكلام، ولكنه بكل تأكيد يكفي في فهم أدبية الأدب (الكلام البليغ)، وتفسيره وتذوقه. وفي سياق متصل يقول هوراس في كتابه الموسوم بـــ فن الشعر:" لستُ أدري ما يستطيع التحصيل أن يثمر من غير نفحة وافرة من الموهبة الفطريــة أو الموهبــة النظرية من غير التحصيل، إن أحدهما ليلحُّ في طلب الآخر، و يعاهده على صداقة دائمة" (هوراس: فن الشعر ترجمة لويس عوض ص 92).

ولنضرب بموجب ذلك مثالا واضحا على التكنولوجيا الحديثة :" إذ يلزم لمن يريد الانتفاع بها أن يكون قادرا على تشغيلها، وهو لن يكون قادراعلى تشغيلها ما لم يكن يفهمها فهما جيدا".

4- تعلم علم البلاغة يعني فهم محتوى النص الأدبي وتذوقه واكتناهه ومن ثم إبداعه أو نقده، لكن غير بعيد عن العلوم الأخــرى كالنحو والصرف و العروض والقافية وعلم اللغة والفلسفة وعلم الكلام وعلم الأصول و....

5- لقد نقــل العلامة **بدر الدين الزركشي** (ت 794 هــ) عن بعض المشايخ أنه كان يقــول :" **العلوم ثلاثة: علم نضــج وما احترق وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضــج ولا احتــرق وهو علــم البيان والتفسيــر، وعلم نضــج واحتــرق وهو الفقه والحديث"(شرح عقود الجمان في علمي المعاني و البيان لجلال الدين السيوطي ص 3، والمقصود بعلم البيان علوم البلاغة الثلاثة: البيان، المعاني، البديع).**

6 – قال عليه الصلاة والسلام: **"المرء بأصغريه، قلبه ولسانه".** وقد فطن الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى لمثل هذه الأبعاد قائلا:

وكأين ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم**

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم تبق إلا صورة اللحم والدم**

(من بحرالطويل)

فاللغة هي الجانب المعنوي في الإنسان شعورا وفكرا وها هنا بعث الله تعالى في العرب رسولا منهم وأنزل عليه القرآن الكريم

ــ كتاب العربية الأول وكتاب الكتب ــ وصمام الأمان لها ضد عوامل التآكل المسلطة على التراث و الناس.

7 – إن الغرض من تعلم البلاغة هو حفظ اللغة من جهة التأويل الخاطئ الظاهري لمعنى الكلام، وعدم الوقوع في اللحن الصوتي أو التركيبي فيه.

8- يعد علم المعاني كل ما يتعلق بمطابقة الكلام لمقتضى الحال. وكل ما يخــص إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفــة في وضــوح الدلالة. أما ما يتعلــق بتحسينــه وتزيينــه بعــد رعايــة المطابقــة، ووضوح الدلالــة فقــد جعلــه **أبو يعقوب السكاكي** (ت 626 هـ): **"علم البديع"** في كتابــه الموسـوم بـ**" مفتاح العلوم".**

9 – من أوجه الحاجة إلى دراسة البلاغة وفوائدها:

أ ــ أن الناظر في هذه العلوم والمحصل لملكتها يعرف إعجاز القرآن معرفة يقينية.

ب ــ أن المتمكن من أصولها و أحكامها يلمس عن كثب دقائق اللغة العربية وأسرارها، ويدرك مراتب الكمال و مزايا صوره الجمالية نظما ونثرا، وبعبارة أدق يصير ناقدا نحريرا وفيلسوفا بارعا أو أديبا مبدعا(مفلقا).

ج ــ أن الدارس لها الخبير بضوابطها وقوانينها، إذا أراد أن يقول شعرا ونثرا في أي غرض يستطيع أن يجد من أمره رشدا فيصيب الهدف ويدرك القصد، ويأتي مما يطابق الحال من الألفاظ والتراكيب ويهتدي إلى المستجاد من الكلام ، والمختار من القول،لأن معه مصباحه الذي يستضيئ به، ويسير على هديه، وبعبارة أخرى يصير أديبا مبدعا*(**أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص 2، ط 1، 1952،تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم).**

وفي الأخير فالبلاغة العربية خدمت كتاب الله تعالى وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم من حيث الجوانب اللغوية و الأسلوبية والحجاجية (الاستدلالية) في تبليغ الخطاب وتلقي البرنامج العقدي والتشريعي للإسلام على أكمل وجه.

كما أن البلاغة العربية كشفت عن مقدرة الإنسان العربي في فن القول، وكشفت عن جماليات لغة الضاد، كما أنها (أي البلاغة) تبين الإعجاز البياني في الجملة والكلمة المفردة و الحرف والآية والسورة والخطاب القرآني الكريم بدلالته ومعانيه ومراميه والشعرية العربية بكل زخمها وتألقها.

3 ــ <u>أعلام البلاغة العربية وروادها</u>

1 ــ أبو عبيدة التميمي (ت 209 هــ): "مجاز القرآن).

2 ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هــ): البيان والتبيين، نظم القرآن، الحيوان، البخلاء".

3 ــ الشاعر العالم العباسي عبد الله بن المعتز(ت 296 هـ) صاحب كتاب * البديع*.

4 ــ قدامة بن جعفر (ت 337 هـ): * نقد الشعر *

5 ــ أبو الهلال العسكري (ت 395 هـ): * كتاب الصناعتين، الكتابة و الشعر *.

6 ــ أبو سليمان الخطابي (ت 386 هـ): * بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*.

7 ــ أبو الحسن الرماني(ت 386 هـ * النكت في إعجاز القرآن) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن *.

8 ــ الحسن بن رشيق القيرواني(ت 456 هـ):* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده *.

9 ــ عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ): في كتابيه *أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز*.

10 ــ أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ):إعجاز القرآن *.

11 ــ جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت538هـ):*الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*.

12 ــ ابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ): * سر الفصاحة *.

13 ــ أبو يعقوب السكاكي (ت626 هـ) *مفتاح العلوم *

14 ــ الخطيب القزويني (739 هـ):* الإيضاح في تلخيص المفتاح (الإيضاح في علوم البلاغة)*.

15 ــ بهاء الدين السبكي (ت 773 هـ): * عروس الأفراح في تلخيص المفتاح*.

16 ــ سعد الدين التفتازاني(ت 792 هـ): *المختصر على شرح تلخيص المفتاح للقزويني*.

17 ــ ضياء الدين بن الأثير (637 هـ):* المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر*.

18 ــ علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 366 هـ): *الوساطة بين المتنبي وخصومه*.

19 ــ محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت 729 هـ):* الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*.

20 ــ بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ):* البرهان في علوم القرآن *...إلخ.

21 ــ في العصر الحديث : من اللمع في علوم البلاغة وفن القول: أمين الخولي * فن القول*.

22ــ ابن يعقوب المغربي (ت 1110 هـ): * مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح 22

23 ــ الشيخ عبد المتعال الصعيدي (ت 1386 هـ):* بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة *.